بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كثيرون، لكنهم عُزّل: لماذا لا تُعدّ الكثرةُ قوة؟

(مترجم)

الخبر:

يشير تقرير إلى أنّ عدد المسلمين سيتجاوز عدد النصارى في العالم بحلول عام 2035. (المصدر)

التعليق:

وفقاً لتوقعات جديدة صادرة عن مركز بيو للأبحاث، من المتوقع أن يتجاوز عدد المسلمين عدد النصارى في العالم بحلول عام 2035، ما يُشير إلى تحوّلٍ كبير في المشهد الديني العالمي. فبين عامي 2020 و2070، من المتوقع أن يرتفع عدد المسلمين بنحو 80%، من 2.02 مليار إلى 3.64 مليار نسمة. ويُعدّ اختلاف معدلات الخصوبة عاملاً رئيسياً وراء هذا التحوّل. إذ يُشير مركز بيو إلى أنّ متوسط عدد الأطفال لدى المرأة المسلمة يبلغ 3.1 طفل، مقارنةً بطفلين تقريباً لكل امرأة من غير المسلمات، ويُساهم هذا التفاوت بشكلٍ كبير في النموّ الأسرع للمسلمين. وتستند هذه التوقعات إلى بيانات التعداد السكاني العالمي، ومعدلات الخصوبة، وحالات التحوّل الديني، وتقديرات الهجرة. وتُشير هذه النتائج مجتمعةً إلى تحوّلٍ جوهري في التركيبة الدينية للعالم خلال العقود القادمة.

وبينما قد يُشكّل النموّ المتوقع للمسلمين مصدراً للتفاؤل، إلا أن الزيادة العددية وحدها لا تُترجم بالضرورة إلى مزيدٍ من الأمن أو الكرامة أو العدالة. فمع تزايد أعداد المسلمين، تتزايد التحديات التي تواجه أمةً تعاني أصلاً من الانقسام والاضطهاد والاستبداد والتهجير والتدخل الأجنبي. ففي شتى أنحاء العالم، لا يزال المسلمون يكابدون انتهاكات دينهم ودمائهم وشرفهم. لذا، يجب النظر إلى أهمية هذا النمو السكاني في ضوء الظروف التي تعيشها الأمة. فالتحدي لا يكمن في مجرد الاحتفاء بتزايد أعداد المسلمين، بل في إدراك المسؤولية المترتبة على ذلك: واجب بناء كيان سياسي موحّد يعكس معتقداتنا ويمتلك القوة لحماية هويتنا وحياتنا وشرفنا وكرامتنا.

إن فكرة أن تزايد الأعداد وحده يُعد نجاحاً تتناقض بوضوح مع الواقع الذي يواجهه المسلمون اليوم. ويتجلى هذا التناقض جلياً في غزة، حيث دُمر النمو الطبيعي للناس بفعل مستويات غير مسبوقة من الموت والتهجير. فبينما تُسهم معدلات الخصوبة المرتفعة لدى المسلمين في التوسع المتوقع في عددهم عالمياً، تُظهر غزة كيف يمكن للقتل الجماعي وتدمير الأسر وانهيار الخدمات الأساسية أن تُقوّض أسس النموّ السكاني. وبالتالي، فإن السؤال ليس ببساطة مدى سرعة نمو عدد المسلمين في العالم، ولكن ما الذي يعنيه النمو عندما تكافح الأمة من أجل البقاء وتواجه الهوية الإسلامية نفسها تحديات متزايدة.

تاريخياً، لم يكن انتشار الإسلام مدفوعاً بمعدلات المواليد وحدها. فقد ساهمت الخلافة في انتشاره، إذ حملته إلى بلاد بعيدة وبلغت رسالته كل بيت. وحيثما رسخ الحكم الإسلامي العدل والمساءلة وحماية النفس والمال وكرامة الأفراد، قدم الإسلام بديلاً لأنظمة الاستغلال والظلم السائدة. وعلى مرّ الأجيال، ساهم التطبيق العملي للإسلام في قبوله على نطاق واسع.

في نهاية المطاف، لا يعني ازدياد عدد المسلمين بالضرورة قوتهم، أو زيادة الالتزام بالإسلام، أو إقامة الشريعة، كما لا ينبغي فهم انتشار الإسلام بشكل أساسي من خلال معدلات المواليد، وكأن مستقبله يعتمد فقط على عدد الأطفال المولودين في الأسر المسلمة. تاريخياً، انتشر الإسلام من خلال السياسة الخارجية لدولة الخلافة، التي قدمت للعالم نمط حياة بديلاً، ونشرت رسالتها على نطاق واسع عبر الدعوة والجهاد، واستجابت لنداءات المظلومين. فلا تُقاس قوة الإسلام بعدد المسلمين فحسب، بل بوجود الخلافة التي وصفها النبي ﷺ بالدرع. روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ»**.

الأمة المتنامية بدون هذا الدرع تبقى عرضةً للضياع والظلم والاستغلال. ولا يمكن لنموها السكاني وحده أن يعوض غياب الإسلام كنظام حكم. بدون درعنا السياسي، سنبقى هدفاً لأعدائنا، كما وصف نبينا ﷺ حين قال: **«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا.** فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ.** فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»**.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

هيثم بن ثبيت

الممثل الإعلامي لحزب التحرير في أمريكا